الفصل الثالث عشر
وجهة نظر التقريب بين أهل السنة والشيعة

لقد تبين لنا من خلال البحث مدى ما عند الشيعة الروافض من ضلال وبدع وانحراف عن كتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، ومدى الأخطار والأضرار الكبيرة التي احتوت عليها كتبهم المعتمدة في مجال التفسير والتوحيد والحديث وغيرها، وأنها تصيب المسلمين في صميم دينهم، وفي أصول اعتقادهم، وكل دعوة تقريب تستلزم ضمناً الاعتراف بهذه الكتب، التي لا يصل الكيد الاستشراقي والتبشيري إلى مستوى ما وصلت إليه من محاولات لتغيير دين الله وشرعه باسم الإسلام، بل إن الاستشراق والتبشير من معينها يرتوي، وعلى شبهاتها وأساطيرها يعتمد في إفساده وتآمره على الدين وأهله، ولهذا فإن هناك علاقة وثيقة بل تشابهاً تاماً بين شبهات المستشرقين والمبشرين، وآراء الشيعة والروافض، وليس هذا بجديد - وهذه العلاقة تستحق أن يفرد لها رسالة علمية خاصة - فمن قديم كان الأعداء يستخدمون آراء الشيعة الرافضة تكأة لهم في محاربة الإسلام وأهله، بل كان جنود الشيعة الرافضة أمضي سلاحاً في يد الأعداء، وكان التشيع الرافضي مأوى لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد وحاقد وموتور، وأيام التاريخ مليئة بمؤامراتهم وخياناتهم ومؤازراتهم للأعداء، ومن أبرز الأسباب في ذلك أن هؤلاء الشيعة الروافض لا يؤمنون بشرعية حكومة إسلامية إلا حكومة المنتظر الذي غاب أكثر من أحد عشر قرناً، ولهذا وجد الأعداء مدخلاً إلى قلوبهم من هذا الطريق [1].

قال ابن تيمية رحمه الله: وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من مودته للمسلمين، ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهة المشرق وقتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها، كانت الرافضة معاونة لهم على المسلمين، وكذلك كانوا بالشام وحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين، وكذلك النصارى الذين قاتلوا المسلمين بالشام، كانت الرافضة من أعظم المعاونين لهم، فهم دائماً يوالون الكفار - من المشركين والنصاري -

(1) مسألة التقريب (261/2 إلى 278).

ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم [1].

ويكفي للتأكيد على ذاك شواهد تاريخية منها:

1 - مؤامرة ابن العلقمى الرافضي في إسقاط بغداد 656هـ:

وملخص الحادثة أن ابن العلقمى كان وزيراً للخليفة العباسي المستعصم وكان الخليفة على مذهب أهل السنة، كما كان أبوه وجده، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، فكان هذا الوزير الرافضي يخطط للقضاء على دولة الخلافة، وإبادة أهل السنة، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الرافضة، فاستغل منصبه، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامراته ضد الخلافة، وكانت خيوط مؤامراته تتمثل في ثلاث مراحل:

(أ) المرحلة الأولى: إضعاف الجيش، ومضايقة الناس حيث سعي في قطع أرزاق عسكر المسلمين.

قال ابن كثير رحمه الله: وكان الوزير ابن العلقمى يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مئة ألف مقاتل.. فلم يزل يجتهد في تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف[2].

(ب) المرحلة الثانية: مكاتبة التتار:

يقول ابن كثير رحمه الله: ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال[3].

(جـ) المرحلة الثالثة: النهي عن قتال التتار وتثبيط الخليفة والناس:

فقد نهى العامة عن قتالهم [4]، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصفه للخليفة، فخرج الخليفة إليه في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء، والأمراء والأعيان، فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها، بدون أي جهد من التتار.

---

(1) منهاج السنة (104/2).
(2) البداية والنهاية (202/13).
(3) المصدر نفسه (202/13).
(4) منهاج السنة (38/3).

وقد أشار أولئك الملأ من الشيعة الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وقال له الوزير ابن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمى، ونصير الطوسي [1]، ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمى الرافضي، وقد قتلوا من المسلمين ما يقال: إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم ير الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتر، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين، فهل يكون موالياً لآل رسول الله ﷺ من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين [2].

وقتل الخطباء والأئمة، حملة القرآن، وتعطلت المساجد، والجماعات، مدة شهور ببغداد [3].

وكان هدف ابن العلقمى: أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يبنى للرافضة مدرسة هائلة، ينشرون بها مذهبهم، فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده [4].

2 - الدولة الصفوية:

في الدولة الصفوية والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي، فرض تشيع الاثنى عشرية على الإيرانيين قسراً، وجعل المذهب الرسمي لإيران وكان إسماعيل قاسياً متعطشاً للدماء إلى حد لا يكاد يصدق [5]، ويشيع عن نفسه أنه معصوم وليس بينه وبين المهدي فاصل، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضي أوامر الأئمة الاثنى عشر [6]، ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين،

---

(1) كان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، البداية والنهاية (201/13).
(2) منهاج السنة (38/3).
(3) البداية والنهاية (12 /203).
(4) المصدر السابق (202/13، 203).
(5) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، علي الوردى، ص56.
(6) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، كامل الشيبى، ص413.

وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع، والأسواق، وعلى المنابر، منذر المعاندين بقطع رقابهم، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض بقوة السلاح [1]، ولقد آزر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو، وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوة الحديد والنار، وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ شيخهم على الكركى [2]، الذي يلقبه الشيعة بالمحقق الثاني قربه الشاه طهماسب، ابن الشاه إسماعيل وجعله الآمر المطاع في الدولة، وكذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسي، والذي شارك السلطة في التأثير على المسلمين في إيران، حتى يقال: إن كتابه " حق اليقين " كان سبباً في تشيع سبعين ألف سني من الإيرانيين [3]، والأقرب أن هذا من مبالغات الشيعة، فإن الرفض في إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب لا بالفكر والإقناع [4].

ولا ينسي الجانب الآخر من أثر الدولة الصفوية، وذلك في حروبها لدولة الخلافة الإسلامية العثمانية، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين، وتشجيعها لبناء الكناس ودخول المبشرين والقسس، مع محاربتهم للسنة وأهلها [5].

هذه بعض آثار دولهم وأفرادهم في هذا المجال، ومن كلمات ابن تيمية رحمه الله الخالدة والمهمة في هذا الموضوع، والتي إذا طبقتها على الواقع، وإذا استقرأت من خلالها وقائع التاريخ رأيت صدقها كالشمس، قوله رحمه الله: فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتناً وشراً، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة [6]، ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التي لا تشابهها فتن، إنما تخرج عنهم [7].

فمع من نتحد يا معشر أهل السنة؟ مع من يطعن في قرآننا ويفسره على غير تأويله

---

(1) أصول الشيعة الإمامية (1475/3).
(2) المصدر نفسه (1476/3).
(3) عقيدة الشيعة، دونلدسن، 302.
(4) أصول الشيعة الإمامية (1478/2).
(5) المصدر نفسه (1478/2).
(6) منهاج السنة (243/3).
(7) المصدر السابق (245/3).

ويحرف الكلم عن مواضعه، ويكفر الصديق والفاروق وأم المؤمنين وأحب نساء النبي ﷺ إليه عائشة رضي الله عنها، وطلحة والزبير وغيرهم من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم، ويخادع المسلمين باسم التقية [1].

3 - من التجارب المعاصرة في التقريب:

(أ) تجربة مصطفي السباعي:

بذل الدكتور مصطفي السباعي عدة مساع مع بعض علماء الشيعة في مسألة التقريب، وسعى لعقد مؤتمر إسلامي لدراسة السبل الكفيلة لإرساء دعائم الألفة والمودة والتقارب بين الفريقين، وكان يرى من أكبر العوامل في التقريب أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضاً، وأن تصدر الكتب والمؤلفات التي تدعو إلى التقارب، وكان يرى عدم إصدار الكتب التي تثير ثائرة أحد الطرفين، وقام مصطفي السباعي بزيارة أحد مراجع الشيعة الكبار، ومن يعد عندهم من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب والدعوة إلى توحيد الصف وجمع الكلمة، وهو شيخهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي فألفاه متحمساً لهذه الفكرة ومؤمناً بها، واتفق معه على عقد مؤتمر إسلامي بين علماء السنة والشيعة لهذا الغرض.

كما قام السباعي بزيارة وجوه الشيعة من سياسيين وتجار وأدباء للغرض نفسه، وخرج من هذه الاتصالات فرحاً لحصوله على تلك النتائج، وما كان يخطر ببال السباعي - رحمه الله - أو يدور بخلده ما تنطوي عليه نفوس القوم من أهداف، وما يرمون إليه من وراء دعوة التقريب من خطط، حتى فوجئ السباعي - كما يقول - بعد فترة بأن هذا الموسوى المتحمس للتقريب قام بإصدار كتاب في أبي هريرة رضي الله عنه مليء بالسباب والشتائم، بل انتهي فيه إلى القول بأن أبا هريرة رضي الله عنه كان منافقاً كافراً، وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار [2].

ثم يقول السباعي: لقد عجبت من موقف عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معاً، ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي [3].

ويذكر السباعي أن غاية ما قدم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقريب هي جملة من

---

(1) مسألة التقريب (280/2).
(2) السنة ومكانتها، ص9.
(3) المصدر السابق، ص10.

المجاملة في الندوات والمجالس، مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى في كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار [1]، ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة في العراق وإيران، فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة [2].

ويذكر السباعي: أن كل بحث علمي في تاريخ السنة أو المذاهب الإسلامية لا يتفق مع وجهة نظر الشيعة يقيم بعض علمائهم النكير على من يبحث في ذلك، ويتسترون وراء التقريب ويتهمون صاحب هذا البحث بأنه متعصب معرقل لجهود المصلحين في التقريب، ولكن كتاباً ككتاب عبد الحسين شرف الدين في الطعن في أكبر صحابي موثوق في روايته للأحاديث في نظر أهل السنة لا يراه أولئك العائبون أو الغاضبون عملاً معرقلاً لجهود الساعين إلى التقريب، ويقول: لست أحصر المثال بكتاب: " أبي هريرة " المذكور، فهناك كتب تطبع في العراق وفي إيران وفيها من التشنيع على جمهور الصحابة ما لا يتحمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير، مما يؤجج نيران التفرقة من جديد [3].

هذه تجربة الشيخ السباعي رحمه الله، ومحاولته أفلست أمام تعصب شيوخ الشيعة وإصرارهم في عدوانهم على خير جيل وجد في خير القرون [4].

لقد أصبح التقريب في مفهوم الشيعة الرافضة، أن يتاح لهم المجال لنشر عقائدهم في ديار السنة، وأن يستمروا في نيلهم من أصحاب رسول الله ﷺ وأن يسكت أهل السنة عن بيان الحق، وإن سمع الروافض الحق يعلو هاجوا وماجوا قائلين إن الوحدة في خطر [5].

(ب) تجربة الشيخ موسى جار الله :

---

(1) المصدر السابق، ص9، 10.
(2) المصدر السابق، ص9، 10.
(3) المصدر السابق ص10.
(4) مسألة التقريب (2/ 198).
(5) مسألة التقريب (198/2).

هذا الشيخ الجليل من علماء روسيا فهو موسى بن جار الله التركستاني القازانى الروسي، شيخ مشايخ روسيا في نهاية العصر القيصري وبداية الحكم السوفيتي، كان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا الذين كانوا يزيدون عن الثلاثين مليون نسمة، ثم هب عليه إعصار الشيوعية، فأصبح بعيداً عن دياره وأهله، قام بتأليف رسائل وكتب، تنقل بين الهند والحجاز ومصر والعراق وإيران، قال عن نفسه: كان بوسعي أن أعد كاتب روسيا الأول وأحد زعماء الطليعة فيها لو أنني تخليت عن إيماني، ولكنني آثرت أن أشتري الآخرة بالدنيا [1].

حاول هذا العالم الجليل أن يجمع شمل الأمة، وأن يوحد أهل السنة والشيعة وبذل جهوداً في هذا الجانب عظيمة، فبدأ بدراسة كتب الشيعة وطالعها باهتمام كما يذكر أنه طالع (أصول الكافي وفروعه) و (من لا يحضره الفقيه)، وكتاب (الوافي) و (مرآة العقول) و(وبحار الأنوار) و (غاية المرام) وكتباً كثيرة وغير هذه الكتب [2].

ثم زار ديار الشيعة وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر يزور معابدها ومشاهدها ومدارسها ويحضر محافلها وحفلاتها في العزائم والمآتم، ويحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها، والمدارس وحجراتها، وأقام بالنجف أيام المحرم ورأى كل ما تأتي به الشيعة أيام العزاء ويوم عاشوراء.

وخرج هذا العالم بنتيجة علمية، فرأى ببصيرته النافذة وعلمه الغزير أن نقد عقائد الشيعة وواقعها هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة، لا تأليف بدونها، وكان أول مساعيه في التقريب لقاؤه مع شيخ الشيعة محسن الأمين في طهران، وجرى بينهما بعض الحديث ثم قدم له الشيخ موسى ورقة صغيرة كان تاريخ الرسالة 1934/8/26 وأرسل منها نسخة إلى علماء النجف، وأخرى إلى علماء الكاظمية، فكتب فيها: أقدم هذه المسائل لأساتذة النجف الأشرف بيد الاحترام، بأمل الاستفادة بقلب سليم صادق، كله رغبة في تأليف عالمي الإسلام الشيعة الإمامية الطائفة المحقة - يعنى على زعمهم [3]، وعامة أهل السنة والجماعة راجياً إجابة الأساتذة جميعاً أو فرادى، وكل ببيانه البليغ، وبتوقيع يده مؤكداً بخاتمه ومهره، ثم أورد في الرسالة ما في كتب الشيعة من أمور

(1) المصدر نفسه (201/2).
(2) الوشيعة، ص19 مسألة التقريب (199/2).
(3) مسألة التقريب (205/2).

منكرة مشيراً إلى أرقام الصفحات في كل ما يذكره، **فذكر عدة قضايا خطيرة في كتب الشيعة الرافضة، تحول بين الأمة والائتلاف مثل:**

* تكفير الصحابة.

* اللعنات على العصر الأول.

* تحريف القرآن الكريم.

* حكومات الدول الإسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت في كتب الشيعة.

* كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة.

* الجهاد في كتب الشيعة مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل حرمة الميتة وحرمة الخنزير، ولا شهيد إلا للشيعة، والشيعي شهيد ولو مات على فراشه، والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فالويل يتعجلون.

ثم قال الشيخ بعدما نقل شواهد هذه المسائل من كتب الشيعة المعتمدة مخاطباً شيوخ الشيعة: هذه ست من المسائل، عقيدة الشيعة فيها يقين. فهل يبقي لتوحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل وهذه عقيدة الشيعة؟.

وهل يبقى بعد هذه المسائل، وبعد هذه العقيدة لكلمة التوحيد في قلوب أهليها من أثر؟.

وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية - ولهم هذه العقيدة - في سبيل غلبة الإسلام في مستقبل الأيام من سعى؟.

ثم أردف ذلك بمسائل منكرة أخرى مثل:

* رد الشيعة لأحاديث الأمة ودعواهم أن كل ما خالف الأمة فيه الرشاد. ويرى أن هذا المبدأ هدم لدين الشيعة قبل أن يهدم دين الإسلام.

* وما في كتب الشيعة من أبواب في آيات وسور نزلت في الأئمة والشيعة، وفي آيات وسور نزلت في كفر أبي بكر وعمر وكفر من اتبعهما.

* وغلو الشيعة في التقية.

ثم ذكر أباطيل أخرى شنيعة في كتب الشيعة مثل:

* أن رسول الله ﷺ طلق عائشة فخرجت من كونها أم المؤمنين.

* أن القائم عندما يقوم يقيم الحد على عائشة انتقاماً لأمه ابنة النبي ﷺ فاطمة عليها وعلى أبيها وأولاده الصلاة والسلام.

* أن القائم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام.

* ثم ذكر أن دين الشيعة روحه العداء، وأن ما في كتب الشيعة من حكايات العداء بين الصديق والفاروق، وبين على كلها موضوعة.

* وذكر أن كتب الشيعة تقول على لسان بعض الأئمة: إن الأمة وإن كانت لها أمانة وصدق ووفاء، لا تكون مؤمنة لإنكارها الولاية.

وأن الشيعة وإن لم يكن عندها شيء من الدين لا عتب لها لأنها تدين بولاية إمام عادل. وذكر مسائل أخرى ثم قال: فتفضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام وتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين، فماذا كان جواب الشيعة بهذه المسائل التي نقلتها من أمهات كتب الشيعة عرضاً على سبيل الاستيضاح، عملاً بأمر الله في كتابه:{فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾} [النحل: 43، الأنبياء: 70].

يقول: ثم انتظرت سنة وزيادة، ولم أسمع جواباً من أحد إلا من كبير مجتهدى الشيعة بالبصرة، قد قام بوظيفته وتفضل على بكل أجوبته في كتاب تزيد صفحاته على تسعين، بكلمات في الطعن في العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشيعة، ثم كتب الشيخ موسى كتابه (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة)، بعد أن لم ير استجابة من شيوخ الشيعة، ويقول: إنني أدافع بذلك عن شرف الأمة وحرمة الدين، وأقضي به حقوق العصر الأول عليّ وعلى كل الأمة [1].

وإذا كان الشيخ موسى جار الله يرى في نشره كتاب (الوشيعة) وفي نصحه لشيوخ الشيعة أن ذلك أول تدبير في التأليف والتقريب فإن شيوخ الشيعة تري أن ما كشفه الشيخ موسى يجب أن يكون دفيناً ويستفزهم مثل هذا الكشف غاية الاستفزاز، والسبب في انزعاج شيوخ الشيعة من أي كشف لما في كتبهم من أباطيل أن في ذلك فضحاً لأغراضهم ومآربهم، وكشفاً لاستغلالهم لجمهور البسطاء من الشيعة، دينياً باسم النيابة عن المعصوم المنتظر، ومالياً باسم خمس هذا المنتظر [2].

---

(1) الوشيعة ص39، مسألة التقريب (208/2).
(2) مسألة التقريب.

4 - المنهج السليم للتقريب:

هو أن يقوم علماء السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبيان صحته وتميزه عن مذاهب أهل البدع، وكشف مؤامرات الشيعة الرافضة وأكاذيبهم وما يستدلون به من كتب أهل السنة والرد على الشبهات الموجهة لأهل السنة بعلم وعدل وبرهان، ولا بد من مصاحبة ذلك كله ببيان لانحرافات الشيعة الرافضة، وكشف ضلالاتهم وأصولهم الفاسدة، وإذا كان أئمة السنة قد شاركوا في ذلك فإنه يجب مضاعفة الجهد وأن يكون جهداً جماعياً مخططاً له.

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل وتقريب الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفهم الإسلام الصحيح، من خلال علماء أهل السنة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت كأمير المؤمنين علي وابناه وأحفاده من العلماء، ولابد من الوقوف في وجه المد التبشيري الرافضي، الذي يشين لأهل البيت الأطهار، والذي ينشط اليوم بشكل قوى في العالم الإسلامي، وفي أوروبا وأمريكا، وحتى يجتمع المسلمون على كلمة سواء، ويعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا.

وإذا كان لا يجدى مع بعض علماء الشيعة الرافضة الاحتجاج عليهم بالقرآن والسنة والإجماع، وبيان الحق بهذه الأصول لمخالفتهم لأهل السنة في ذلك، فلا يعنى ذلك أن نتوقف عن بيان مذهب أهل السنة وصحته، وبطلان مذهب الشيعة وضلاله في تلك الأصول، فذلك سيحد من انتشار عقيدة الروافض بين أهل السنة - بإذن الله تعالى.

وعلينا أن نبحث عما يكشف باطلهم من كتبهم نفسها، وهذا المنهج لم يسلكه علماؤنا المتقدمون الذين اهتموا بالرد على الروافض، وتفنيد حججهم ودحض دعاواهم، ولعل السبب في ذلك أن كتب القوم لم يكن لها ذلك الذيوع والانتشار، وكانت موضع التداول الخاص بهم، أو أن السبب أن هناك بعض كتبهم الأساسية قد وضعت من المتأخرين ونسبت للمتقدمين، أو زيد عليها في العصور المتأخرة " الدولة الصفوية ".

أيا كان السبب هذا أو ذاك أو جميعاً فإن كتب الروافض اليوم قد انتشرت ودان بقدسيتها وآمن بصحتها الكثير من الشيعة الرافضة، فهم لا يؤمنون إلا بما جاء فيها ولا يحتجون إلا بها، ويردون بها السنة الصحيحة بل نصوص الكتاب الظاهرة بل منهم من يصدق أساطيرها التي تمس كتاب الله العظيم، وتزعم الوحي للأئمة وعلم الغيب، فليكن تصحيح وضع الشيعة من كتبهم، وكشف ضلالهم من رواياتهم، ومنطلق التقريب الصحيح من

مدوناتهم [1].

وقد قامت جهود مشكورة في هذا المجال وظهرت بعض الكتب، مثل " الإمامة والنص"، فيصل نور، " ثم أبصرت الحقيقة "، محمد سالم الخضر، و " أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية "، د. نصر عبد الله بن علي القفاري، و " دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين "، للدكتور أحمد جلي.

إن هذا المسلك ينبغي أن يدرس بعناية واهتمام، فإن القارئ لكتب الشيعة يتلمس خيوطاً بيضاء وسط ركام هائل من الضلال، ومن الممكن أن ينسج من هذه الخيوط العقيدة الحقة للأئمة الموافقة للكتاب والسنة الصحيحة، من الضياع والتيه الذي يعيشونه، وهذه الخيوط كما تشمل الأصول تشمل الفروع وعلى ذلك يمكن اللقاء والتقارب [2].

كما أنه ينبغي التنويه وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة واحترامهم وتقديرهم، والوقوف معهم في نصيحة أقوامهم، كالذي قام به السيد حسين الموسوى - رحمه الله - في كتابه " لله ثم التاريخ، كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار "، وكالجهد العلمي الذي قام به السيد أحمد الكاتب مشكوراً في كتاب " تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه "، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقتفياً لآثارهم الصحيحة وهديهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان، ونبين لهم أن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات [3]، وأن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ، وكل ما جاء عن السلف رضي الله عنهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكنا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا [4].

وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو

---

(1) مسألة التقريب (282/2، 283).
(2) المصدر نفسه (296/2).
(3) النهج المبين لشرح الأصول العشرين د. عبد الله الوشلي، ص126.
(4) المصدر نفسه، ص157.

بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها [1] والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها، ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾} [يونس: 63] والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً في حياتهم أو بعد مماتهم، فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم [2]. وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة [3]، والعرف الخاطئ لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء[4].

والإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها [5]، ولا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض، برأي أو معصية إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة أو كذب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر [6].

إن مثل هذه الأصول والمفاهيم تعين الناس عموماً في فهم الإسلام المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج أهل السنة والجماعة، الذي أصل لأصوله رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون المهديون، ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء.

إن أهل الحق المتمسكين بنهج أهل السنة، ليس عندهم بدع بحمد الله، ومستندهم القرآن والسنة الصحيحة، ولا يمكنهم التنازل عن شيء من ذلك مما قد يجعل الدين

---

(1) المصدر نفسه، ص243.
(2) المصدر نفسه، ص259.
(3) النهج المبين لشرح الأصول العشرين، 279.
(4) المصدر نفسه، ص305.
(5) المصدر نفسه، ص323.
(6) المصدر نفسه، ص343.

عرضة للمساومة، وأما الشيعة الرافضة فعندهم من البدع الشيء الكثير لا يمنعهم شيء من التنازل عنها إلا التعصب واتباع الهوى والمصالح المادية لبعض شيوخهم المنحرفين عن هدى أمير المؤمنين على وعلماء أهل البيت رضي الله عنهم جميعاً، وذكر العلماء أن أهل السنة عليهم إنكار بدع المبتدعة، وإن كان المبتدع متعبداً بها معتقداً صوابه، ولابد أن نقيد إنكارنا على هذه البدع بالقيد المصلحي وفق قاعدة الترجيح بين المفاسد والمصالح المتعارضة بأن نحتمل المفسدة اليسيرة من أجل درء المفسدة الكبيرة، ونحتمل تفويت المعروف الأصغر حرصاً على جلب المعروف الأكبر، وهذه قاعدة صحيحة عند الفقهاء، والعمل بهذه القاعدة قد يجعلنا نسكت عن إنكار بدعة الشيعة الرافضة في وقت من الأوقات أو في مكان من الأمكنة سداً للذريعة وخروجاً عن أصل الإنكار إذا كان الإنكار يؤدي إلى هياج الفتن وإراقة الدماء والاقتتال بين أهل بلد يتكافأ فيه عدد الشيعة مع عدد أهل السنة، وأما في الأحوال الاعتيادية التى لا تكون هناك مفسدة تصاحب هذا الإنكار يكون مستساغاً أو واجباً [1].

وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمي الهادئ في مناقشة بدع المبتدعة، وأن يترفقوا معهم، وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع كافر أو ظالم، وفق السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائماً، ليشمل من يأتي من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد والأقوال الشاذة في كل الأحوال، والحد المميز بين الطائفتين الأولى التى نترفق معها في الكلام، والثانية التي نغلظ لها الكلام إنما يكون كامناً في مدى اعتماد القائل على نص شرعي يتكون منه شبهة له أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومن لا تأويل له فالإنكار - من تجاهه أولى - وربما كان الإغلاظ له أوجب [2].

إن أهل الحل والعقد من أهل السنة في المجتمعات الطائفية هم الذين يقدرون المواقف السياسية، والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد

(1) مسألة التقريب (360/2).
(2) المصدر نفسه (361/2).

الذي تضبطه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه، والتحذير من العقائد المنحرفة المندسة في أوساط المسلمين، حتى لا يتأثروا بتلك الأفكار الفاسدة التي يجتهد دعاتها في نشرها بالليل والنهار، والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل، وقد قام رسول الله ﷺ إبان هجرته للمدينة بعقد المعاهدات مع اليهود، والتي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم، حتى يعرف المسلمون حقيقة الشخصية اليهودية، فلا ينخدعوا بها.

* * *